الصَفْراغونُ والبُلَحُ (١)

لحضرة الاب العالم اللغويّ انستاس الكرملي البغدادي

كنتُ قد ذكرتُ في المشرق (١ : ١١١) ان العرب سمّوا الطروغلوديتس صَفْراغونًا بالفاء او صَفْراغونًا بالنين وقلت ليس لهاتين اللفظتين وجود في لغةٍ من اللغات الافرنجيّة. وبعد ذلك سألت حضرة الاب لويس شيخو ان يذكر لي كيف الدكتور لكلار Leclerc نقل هذه اللفظة الى اللغة الافرنجية في كتاب المفردات لابن البيطار فكتب لي انهُ سمّاهُ mortacilla او ossifraga. ولمّا رأيتُ بين هذين الطائرَين برًّا عظيمًا استغربتُ إعجام الدكتور ولمّا امعنتُ فيهِ النظر تحققت انهُ سمّاهُ mortacilla محافظةً على ما ارشدهُ الوصف الى ذلك وسمّاهُ ossifraga محافظةً على مقاربة اللفظ بين الحرفين. وهذا الامر دفعني الى البحث وراء الحقيقة وتدقيق النظر وجعلتُ اتصفّح الكتب الغريبة لعلي اجد ضالّتي فرجعتُ بخفَّي حُنين. غير اني قرأتُ في البرهان القاطع ما شفى بعض العلّة وروى شيئًا من العلّة قال ما معرّبهُ: « صَفْراغون على وزن أفلاطون بالنين المعجمة لفظ يوناني وهو اسم طائر بجثة العصفور اسمهُ بالعربية « عصفور الشوك » ويُسمّى في غير هذه الديار: « طائر الشوك. وبُلبل الشوك » ويُسمى في هذه البلاد: « بُوقليچه بُليل » لسبب تغريدهِ ويُدعى في اماكن اخرى باسم عصفور الشوك والطائر المغرّد وبعضهم سمّوا صَفْراغونًا الطائر الذي هو من جنس الجوارح المعروف باسم « چاقر طُنان » اي الصقر » اه. ومن هذا الكلام يتبيّن ان الكتّاب قد ذهبوا في هذا الاسم مذاهب شتى مرجعها الى انها عصفور الشوك المعروف باللغة الافرنجية بالطروغلوذس الاوربي troglodytes europeus وبالفرنسية troglodyte ordinaire وبالفرنسية العامّية fourre-buisson اي عصفور الشوك وباليونانية σπαργάνιον bérichot اي « ذو الشَرَيط » وذلك لوجود خطط على ظهره وذنبهِ كانها أشاريز او قِدد

اما ossifraga فانّهُ وان كان في لفظهِ بعض الشبه للصفراغون فليس بهِ البتّة وقد سمّاهُ العرب باسماء شتى وليس في عدادها هذا الحرف. والإتيان بذكرهِ وباوصافهِ وباسمائهِ لا يخلو من فائدة لان العرب قد ذكروا عنهُ اشياء اخرجتهُ الى حد الخرافة

(١) Le Troglodyte ordinaire et l'Orfraie

واوّل هذه الاسماء البُلَحُ وهو عندي مشتقّ من البَحّ او البحح وهو خشونة في الصوت لان في صوته شيئاً كثيراً من ذلك وكل من يسمعهُ لا يتمالك من ان يقول: ان هذا الطائر مبحوح. وعليهِ كلام الشاعر الفرنسي ڤيكتور هوكو:

Tu chantes faux, à rendre envieuse une orfraie

اي انّك تغني غناء معيباً دونهُ صوتُ البُلَح: هذا وقد اقحمت العرب اللام بين الباء والحاء للفرق بين البَحَح والبلَح. ثمّ اننا قد قُلنا غير مرّةٍ ان كثيراً ما يقحمون احرُف الذلاقة في الكلم تمييزاً بين كلمٍ وكلمٍ تمييزاً ظاهراً. وبالاخصّ في المضاعف وان كان يوجد في غيرهِ. والشواهد على ذلك لا تُحصى نذكر منها ثلاثة للتمثيل فيقال: مسّ الشيء. ولمسهُ بزيادة اللام في الاوّل. والسَطح والسَلَطح بزيادتها في الوسط. وقصّ وقصّل في الآخر. وقد وصف البُلَح صاحب الاوقيانوس فقال ما معرّبهُ:

« البُلَحُ وزان صُرَد طائر من جنس النسر (الكَرَكس) وهو القديم منهُ اذا هَرِم. وقيل هو طائر اعظم منهُ محترق الريش خِلقةً واذا وقعت ريشةٌ منهُ على ريش طائر احرقتهُ. ويُجمع على بِلْحان وزان صِرْدان واسمهُ بالفارسية « هُماي » اي مَيمون او مبارك. ومن ذلك وَصفُهُ بهذا القول المأثور: « سرّ البَلَح فسحني تمثالهُ اي وقع عليّ ظلّهُ. وعليهِ فهو هذا الطائر المعروف « بِهُما » والنقير المترجم قد رأيتُ في حلب جثتهُ عند واحدٍ من تجار الهند. وكان رأسهُ تامّاً وكذلك سائر اعضائهِ وجناحيهِ وريشهِ. وكان لونهُ قريباً من الزرقة وكانت جثتهُ بكبر جثّة البازي (الطُغان) لكنهُ اطول منهُ بقليل وكان في ذنبهِ جُثّة (چيغه) ريش منقّش. ونظراً الى هذا الريش اشتراهُ احد الاعيان بذهب وافر وأهداهُ الى جلالة المرحوم السلطان سليم. ولم يكن فيهِ ابداً اثر احتراق في ريشهِ. وشاهدتُ بجانب جثتهِ طائفة من النسل وكان رأسهُ بكبر رأس القط المتوسّط الحجم وكان لونهُ (اي لون رأسهِ) اسود لمّاعاً. وعيناهُ وفمهُ بكبر عيني وفم القط بذاتهِ. وكان لهُ قرنان بقدر الاصبع الوسطى » اه تعريباً

وقال التاج: « البُلَحُ كصُرَد النسر القديم اذا هرم. وفي التهذيب هو طائر اكبر من الرَخَم او هو طائر اعظم منهُ اي من النسر ابغث اللون محترق الريش. يُقال: انّهُ لا تقع ريشة منهُ وسط ريش طائر الّا احرقتهُ. وفي الاساس: وهو اقدر اللواحم (قلت هذه اللفظة باطلاق المعنى من المستدركات فانّهُ جاء في معاجمهم بازٍ لاحمٌ اي يأكل

اللحم ويشتهيهِ) على كسر العظام وبَلعها: وتقول: « مرَّ البُلَح فسحني عَاثالهُ » (كذا في الاصل المطبوع. والمشهور عَشالهُ وهو الصحيح كما اوردهُ عاصم افندي) اي وقع عليَّ ظلهُ . جمعهُ بِلحان بالكسر كصِردان جمع صُرَد وبُلحان ايضاً بالضم . زادهُ الازهري » اه بحروفهِ

وقال فَرْهَنك الشموريُّ في مادَّة همايِ أو هما: « هو الطائر المعروف وهو مخصوص بجزائر الصين وغذاؤهُ العظام » اه تعريب حرفهِ

قُلنا الان: اما ما رآهُ صاحب الاوقيانوس في حلب وظنهُ البلح فلا يخلو من انتقاد لان رؤية طائر غريب ليس دليلاً على انهُ هو الطائر الغريب المطلوب لان ما وصفهُ هو وصف الطائر المعروف عند علماء الافرنج باسم calao rhinoéeros واما البُلَح فهو طائر آخر وهو المعروف عند الافرنج باسماء عديدة منها orfraie (i.e.: ossifraga), huard, pygargue, aigle pêcheur, aigle de mer, aigle des rivages ويُعرَف باليونانيَّة باسم φήν المشتقَّة من φαίνω ومعناها: لمع وأضاء وانارَ وبَرَقَ وأشرق. وكان اليونان يعتقدون نفس اعتقاد العرب عن هذا الطائر ومنهُ اشتقاق اسمهم عندهم. لا بل وقد اخذ العرب هذا الاعتقاد عن اليونان عند تعريبهم كتبهم. ويسمَّى باللاتينيَّة: ossifraga ومعناهُ كاسر العظام. وهو اسم آخر سمَّاهُ بهِ العرب كما سمَّاهُ. والعرب كالافرنج لم يدققوا في دلالة هذا اللفظ. فان هؤلاء كثيرًا ما توهَّموا فيهِ طائرًا آخر اي gypaète barbu, griffon, vautour des agneaux *ou* læmmergeyer ومعناهُ: الأنوق المعروف ايضاً باسم النسر البازي او النسر الخرَّفان مع انهما طائران متميز الواحد عن الآخر تميزًا بيِّنًا

ومن اسماء البُلَح البُلت. قال صاحب القاموس: « البُلَت كصُرَد طائر محترق الريش ان وقعت ريشةٌ منهُ في الطير احرقتهُ » اه. قُلنا: اما سبب تسميتهُ بالبُلَت فنظن انهُ حاصل من الابدال والوقف. فانهم قالوا اولاً في البلح: البُلَه بهاء في الآخر وهي لغة لبعض العرب مشهورة اي انهم يبدلون الحاء هاء فيقولون مثلاً في الجَلَح الجَلَه (وهو انحسار الشعر عن مقدم الرأس) وفي حَبشَ هَبشَ (اي جمع) وفي البُختر البهتُر (اي القصير) (كل ذلك عن المزهر ١ : ٢٢٤) ثم وقفوا على الهاء بالتاء المبسوطة فصارت البُلت. وعليهِ قول الشاعر:

كادت نفوس القوم عند القلصت وكادت الحرّة ان تدعى أمت

وعلى هذه اللغة بها كُتب في « المصحف ان شجرت الزقوم وامرات نوح » . . . (عن هامش حاشية الصبان ١ : ١٥٢ بحرفه) . — ومن اسماء « البلح » الهماي كما ذكرهُ صاحب الاوقيانوس وكذلك الهما بالقصر كما ذكرهُ صاحب شفاء الغليل « وهماء » بالمدّ كما ذكرهُ صاحب التاج قال في مادة ه م ي : « وهماء بالضم والمدّ . وقد يُكتب بالياء في آخرهِ (اي هُماي) هو العقاب او طائر آخر من وقع ظلُّهُ عليهِ صار ملكاً وتتخذ الملوك من ريشهِ في تيجانهم لعزتهم وكانها فارسية » اه . قلنا : والكلمة فارسية محققة كما صرّح بها صاحب الاوقيانوس ومؤلف البرهان القاطع ومعناها كما ذكرنا : الميمون والمبارك والمسعود والمحظوظ . وايضاً الملكي او السلطاني وسُمّي بذلك لاتخاذ ريشهِ في تيجانهم او تفاؤلاً لمن وقع ظلُّهُ عليهِ

ومن اسمائهِ ايضاً هُمايون كما صرّح بهِ صاحب شفاء الغليل . ونقلهُ عنهُ صاحب اقرب الموارد مع بعض تصرُّفٍ أخرجهُ الى الوهم فقال : « هُمايون . لفظة فارسية في الاصل اسم طائر من وقع عليهِ او أظلَّهُ وصل الى أعلى المراتب ولذا أُطلق على العزيز والسلطان » . ثم زاد : « وقول الاتراك باب هُمايون . اي باب السلطان » . قلنا وان كان هذا التأويل من باب التخريج فمع ذلك يُرى فيهِ بعض التكلُّف : لان معنى باب هُمايون : بابٌ ملكي او سلطانيّ . لان همايون صفة لا موصوف بالفارسية اما نقلهُ بالعربية الى هذا الطائر فهو من باب غلبة الاسمية على الوصفية كالأسود للحيّة واجدل للصقر وادهم للقيد ونحوها . اما الخفاجي فقد قال : « هُمايون وهُما (بالقصر وهي لغة في المدّ كما ذكرها صاحب التاج واغفلها صاحب اقرب الموارد) فارسي في الاصل اسم طائر من وقع عليهِ أو أظلَّهُ وصل الى أعلى المراتب . ولذا أطلق على العزيز والسلطان . وفي بعض الرسائل : قيل ان الله تعالى خلق طائراً اسمهُ هُمايون من وقع عليهِ ظلهُ فاز بدولة وهو طائر ميمون . وهذا مما لا يُعرَف اصلهُ (كذا . ولقد اصاب في قولهِ بعض الاصابة لانَّ وصفهُ حُفَّ بخرافات حتى لم يبقَ فيهِ شيء من الحقيقة) ولم يُرَ ظلُّهُ . وما في عنايتك . فظلُّ حمايتك . وارف الظلال . سابغ اذيال الاقبال » اه

اما زعمهم ان من وقع عليهِ ظلُّهُ رقي الى ذروة المعالي فهو اما لندرة اختلاف هذا الطائر الى البرّ وقلّة تردُّدهِ الى البلاد الآهلة بالسكّان وكثرة اعتكافهِ في البحر فيكون

وقوع ظلّهِ من النوادر المبشّرة بامر غريب او غير مألوف من مثل الاقبال وتحسُّن الأحوال. واماً لانّ معنى اللفظة «المبارك او الملكيّ» فتفاءلوا بهِ وقالوا: ان من يحلّ عليهِ اسم هذا الطائر الملكي لا بُدَّ من ان يبلغ ذروة المعالي إلّا يرقَ الى الملوكانيـة. واماً زعمهم انهُ محترق الريش وان الطائر الذي يقع عليهِ من ريشهِ شيء يحترق فهو لانّ لونَ ريشهِ لونُ الشيء المحـترق فاستنتجوا ان من كان لونهُ لون المُحرَق فانهُ لم يكن كذلك الّا لانهُ قد أُحرق ثم بالغوا في الوهم او الايهام فتولّد في فكرهم انهُ مُحرِق الريش ومُحرَّقهُ. او ان العرب نقلوا هـذا الوهم عن اليونان كما اسلفنا ذكر ذلك في صدر هذه النبذة. وهو الاصح وان كانت سائر الآراء محتملة

ومن اسمائهِ الأبغث وهو من باب اقامة الصفة مقام الموصوف. والابغث هو الأغبر او ما كان لونهُ لون الرماد المحرق brun sale, cendré والابغث غير البغاث الذي هو دون الرخم ويُشبههُ والبغاث بهذا المعنى مشهور الى يومنا هذا عند أعراب البـادية في نواحي جبل حمرين في ولاية بغداد وهو بالفرنسية vautour arrian وبلسان العلم Vultur cinereus

ومن اسمائهِ: كاسر العظام وكذلك معنى اسمهِ الثـاني عند الفرس اي أُستُخوان وعند اللاتين اي ossifraga وعند اليونان اي ὀστοκόπος وانّما دُعي بهذا الاسم لانهُ من بعد ان يأكل لحم الحيوانات يُحلّق بالعظام في الجوّ ثمّ يرمي بها على الصخر فتتكسّر فينتقيهـا (اي يستخرج مخّها) Apud dom Calmet.- Commentaires sur l'Ecriture Ste.- Lévit. XI, 13. - Traduct. Franc.

ومن اسمائهِ «المكلّفة» على ما ذكرهُ الدميري اذ قال في ترجمة العُقاب: «الفرخ الذي تُلقيهِ (العقاب) يعطف عليهِ طائر آخر يُسمّى كاسر العظام ويُسمى المكلّفة فيربيهِ ومن عادة هذا الطائر انهُ يزقّ كل فرخ ضائع» اه. قلتُ: ومنهُ اشتقاق اسمهِ بالمكلّفة ومعناهُ العقاب المكلّفة. وهـذه اللفظة من المستدركات على اصحاب المعاجم وكذلك كاسر العظام

ومن اسمائهِ ايضاً الأغثر. ونقول عن معنى هذا اللفظ وتسمية الطائر بهِ ما قلناهُ عن الأبغث

وختاماً لذلك نستنتج من هـذه المقالة ان العرب كثيراً ما يُسمّون الحيوان او

الطائر الواحد باسماء عديدة كما هو مشهور عنهم وذلك اما لزيادة معنى للمدلول عنهُ باللفظ الجديد واما لاغناء اللغة بالفاظ متعدّدة لأغراض يطول ذكرها هنا

(فائدة) اتماماً للفائدة نلحق الفوائد المذكورة بكلام نعرّبهُ عن بعض الافرنج المحدثين في مادة orfraie قال: ويسمّيهِ العامّة عُقاب البحر هو ضرب من العقاب يمتاز بِخُشّة ريشهِ وبذنبٍ يكون بادئ بدء ضارباً الى السواد مع نُكَت بيضاء ثم يبيضُّ مع العُمر وقد ميّز الناس مدة زمان مديد كاسر العظام عن البُلَح او العقاب المركيّة. اما اليوم فقد تحقّق انهُ نفس هذا الطائر. ويقيَّد باسم كاسر العظام طالما يكون في ريش سنّتيهِ الاولَيَين اه. وقال في البُلَح ما معرّبهُ: البُلَحُ pygargue ونُسمّيهِ العامة بالعقاب الابيض الذنب وهذه التسمية تحصّل معنى اللفظة اليونانية πύγαργος ضربٌ من العقاب من طائفة العقبان المركية. ويُسمّى في صغرهِ كاسر العظام واذا بلغ أشدّهُ يتغيّر لون ريشهِ فيُسمّى: «الابيض الذنب» ويكون حينئذٍ لون ريشهِ أبقع بدون نكتة اخرى. ولون رأسهِ واعلى عُنقهِ أغمق بين الغُبرة ولون الذنب ابيض يقق ويكاد المنسر يكون ابيض. ويأوي البُلَحُ الى الحراج التي تجاور البحر او البحيرات التي في شمالي الكرة الارضية. وفي الشتاء يكثر على سواحل انكلترة وفرنسة. وخَسْمُهُ اشهر من ان يُذكر». اه. Bouillet.. *Dict. scient.* - dernière édition. *Art.* Orfraie et Pygargue.

قراءة بعض الكتابات الشرقية وتفسيرها

للاب س. رتر فان اليسوعي (تابع لما سبق ص ٥١٤ — ٥٢٢) (*

* قلنا في تفسير الكتابة السادسة ذكر علَم مؤنث نبّهنا عليهِ حضرة الاب ناتاي المحترم وهو «هَدْلا او هَدْله» الشائع عند مسلمي البقاع والمتاولة خاصّة. وبين هذا العلَم والعلَم الوارد في الكتابة المذكورة مطابقة جليّة تغنينا عن اطالة الكلام. ولحضرة الاب المذكور ملاحظات اخرى في اسماء الاعلام عند العامّة وصورها الغريبة. فساءهُ ان ينشرها قريباً فيتحف بها العلماء الذين يبحثون عن اوزان الاسماء واشتقاق الاعلام وخواصّ معانيها

الكتابة العربية الثامنة

كنا قد وعدنا قراءتنا الافاضل بنشر صورة الكتابة التي اشهرنا مضمونها سالفاً في عددٍ سابق (٣: ص ٥١٩) ولهذا الاثر من حيث تاريخ تقلُّبات الخطوط العربيّة اهمّية لا تُنكر اكتفينا لبيانها بما قدمناهُ من الشروح في الموضع المذكور

واعلم ان الصورة المرسومة في ص٧٣٩ ليست مأخوذة عن طبع ورق كما كنّا نأملهُ فان الحجر الاصلي لم يوجد الى هذه الغاية مع كل ما صُرف من الجهد في امر اكتشافهِ.